

أثر التربية في بناء المجتمعات



فرج أحمد باعمر

انتهى القرن العشرون بعد أن خرج العرب منه بستركة متقلبة بالتفسير الحضاري لأخلاقهم إلى القرن الحالي وهم يحملون في جنباتهم مائة مليون فقير تكاثروا في عقدين من السنين بإيقاع متسارع حيث كان عددهم في عام ١٩٨٦م ٨٥ مليوناً ، بمعنى أن المتولدة العديدة تضيف مليوناً جديداً من هؤلاء الفقراء إلى رصيد الأمة العربية كل عام .

إن هذا الوباء المادي الذي يعيشه المواطن العربي كان على موعد مع وبس آخر هو الوباء التربوي حيث يعاني العالم العربي اليوم من ثلاثة أنواع من الأمية (أمية لجدية ٤١ % رجال ، ٥٩ % نساء) ، وأميه ثقافية يعرق فيها ٨٠ % من الجنسين ، وأميه تكنولوجية تتجاوز ٩٩ % منهم على الرغم من كل الجهود المستمرة لنشر التعليم الأساسي الذي يقصر عن شمول جميع الأطفال مما يؤدي إلى تدفق أعداد جديدة إلى رصيد الأميين ، كما تعاني الفتيات في المناطق الفقيرة كالأرياف معدلات أعلى من الحرمان من التعليم .

في زمن كهذا يكون من البديهي أن يؤدي التباين في فرص التعليم إلى التباين في موارد الدخل والمستوى المعيشي للأفراد ، فمعدل دخل الأفراد الحاصلين على تعليم عال هو ٦ مرات أعلى من دخل الحاصلين على التعليم الأساسي في الدول النامية ، وهكذا يكون الحرمان من النعم الثقافية مدعاة للحرمان من النعم الاقتصادية والاجتماعية .

إن كل الاستقرار المستقبلي تشير إلى أن التغيير الأعظم الذي سنشهده البشرية طوال القرن الجديد سيكون في مجال المعلومات والأعلام (الراديو والتلفزيون والفضائيات والانترنت والبريد الإلكتروني) . هذه التحولات سوف تلغي الحدود الثقافية بين أمم الأرض وسوف تؤثر تأثير عميق في حياة شعوبها خاصة للشباب الأمر الذي سيعمل على إضعاف سلطة الحكومات على هذه الشعوب خاصة في الدول النامية وذلك لأنها ستكسر احتكار المعلومات والحقوق السياسية والاقتصادية والثقافية وستزيد من سرعة تطور الجماهير لأنها ستطلعهم على الكيفية التي تدير بها الشعوب

الأكثر تقدماً حياتها بالديمقراطية وحكم القانون وسوف يتزامن كل هذا مع طموح هذه الشعوب إلى نظم سياسية أرقى وكذا صناعية وزراعية أكثر تطوراً وإنتاجاً ، واقتصادية أكثر عدلاً ونفسية أكثر فائدة وإثارة للوعي . هذه كلها تحديات تاريخية جديدة ، إنها ليست أخطاراً ، لكنها إنذارات مبكرة باحتمال وقوع الأخطار التي لا يمكن تفاديها بالقمع أو القسر أو بإقفال العقول . ومن هنا فإن كل التجارب تعلمنا أن للناس متى ما حسنت نياتهم وتوثرت عقولهم يستطيعون حينها اختراع الحلول العملية والعادلة لمشكلاتهم ، وهنا يكمن جوهر التربية الحديثة المحتاج إليها في المجتمعات العربية والمتخلفة ، تربية تعد لنا مواطنين حسنة نيتهم ومثورين . فالتثنية على للتثوير العقلاني وعلى ممارسة الحرية هما الضمانة الأكيدة ضد النزلاق هذه المجتمعات إلى سلوكيات العنف والنف المصاد الذي لم ولن يحل مشكلة .

إن في مفترق الطرق هذا .. أية تربية تستحقها أجيالنا في القرن الجديد حتى نستطيع أن نتابع الأمم الأخرى في البقاء والامتياز ؟ هذا السؤال الكبير لا يستطيع فرد واحد الإجابة عنه ، لكن ما يمكن طرحه في هذا السياق هو رؤية تربية أجمع عليها كبار التربويين تتضمن بعض الممكثات التربوية والإجراءات التي نجحت في الدول المتقدمة ويجب أن نتجح في دولنا العربية وهي :

١- تحرير المؤسسة التربوية في العالم العربي من التسييس أي من التبعية السياسية . ولنتحول إلى نمط فكري يتركز حول الإنسان بحيث يكون هذا الإنسان في موضوع لدرس العلمي وعلمته .

٢- تحرير المؤسسة التربوية العربية من النزعة الماضوية التي أفسدت عليها رؤيتها وأصلتها طريقها حتى صار الماضي يشكل الحاضر بل حتى صار هذا الماضي يوحى إلى الناشئين بأن الحاضر الحقيقي ما هو إلا الماضي الذي يجب استعادته لتأخذ الأمة مكانتها بين أمم الأرض . وكان من الطبيعي إلا يكون في هذه التربية الماضوية مكان ذو معنى لفكرة التقدم واحترام الحاضر الحضاري للإنسان بكل إبداعاته .

٣- تفتيح عقول الناشئة على نور الكفاءة المعرفية في ضمان فرص العمل والدخل العالي في مجتمع العمل المعرفي الذي بدأ العالم يتحول إليه منذ التسعينات بخطى متسارعة ، وإعادة تصميم المناهج الدراسية في ضوء ذلك وهذا يعني حوسبة التعليم .

٤- التأكيد على دور العلم في تحرير الإنسان اقتصادياً ، بمعنى أن الفكر العلمي والتكنولوجي الحديثة جعلنا من

الفقر أمراً غير ضروري على أن يقترن ذلك بمسألة جيدة لتحقيق العدل الاجتماعي .

فمثلاً : في عام ١٩٦١م كان نصيب الفرد الكوري الجنوبي من مجمل الناتج القومي مثل نصيب الفرد الغاني وهو ٢٣٠ دولاراً أمريكياً ، أما في عام ١٩٩١م فقد ارتفع نصيب الفرد الكوري (١٢) ضعفاً في حين بقي نصيب قرينه الغاني عند مستواه الأول . كلا البلدين كانا يواجهان مشكلات لا حصر لها عندما نالا الاستقلال واليوم تقدم كوريا الجنوبية إلى المرتبة الثالثة عشرة في العالم من حيث سعة التبادل التجاري ، وإن هي تتهيا لدخول محفل الدول الغنية في العالم فإن غانا ما تزال تعد من الدول الأكثر فقراً في العالم .

إن : ما الذي جعل المعجزة تتحقق في كوريا ولا تتحقق في غانا ؟ هو خلق المجتمع المتعلم . ففي عام ١٩٨٠م كانت كوريا الجنوبية تخرج من المهندسين بقدر ما كانت تخرجه بريطانيا واليابان والسويد مجتمعة وهو ١٤ مليون طالب من مجموع سكانها البالغ عددهم ٤٣ مليون نسمة في حين كان مجموع طلبة الجامعات في إثيوبيا ١٥٠٠٠ طالب من مجموع سكانها البالغ عددهم ٤٦ مليون نسمة .

٥- تدريب الطلاب على قراءة العالم قراءة صحيحة ، فالوضع العالمي الحالي الذي سيتعاملون معه هو وضع غير مسبوق تتداخل فيه الحدود الجغرافية والثقافية التي فقدت الكثير من قيمتها بفعل تداخل الأسواق العالمية فمثلاً : يتم تصنيع سيارة رياضية من اليابان ، ويجري تصميمها في إيطاليا ، وتجمع أجزائها في فرنسا ، وتتخذ في بنائها أجهزة متطورة في أمريكا . فإذا اكتملت هذه السيارة أعيد تصديرها إلى اليابان على أنها سيارة إيطالية . هذا الواقع الدولي الجديد يجب أن نعرفه الأجيال الجديدة لأنه سيؤثر في تفكير مصيرها الاقتصادي .

٦- العدل التربوي : المجتمع العادل يجب أن يوفر لكل أطفاله فرصاً متكافئة من التعليم ، ليس بإعطائهم عدداً متساوياً من السنوات الدراسية لكن أن يتأثروا جميعهم تعليماً بدرجة واحدة من الجودة .

٧- إفهام الطلاب على أن الحلول الديمقراطية لمشكلات المجتمع وأزماته قد يكون بطيئاً وقد يتأخر ، لكنه حين يأتي سيكون حلاً عادلاً وثابتاً .

المراجع :
١) النشرة الاقتصادية لبلدان العالم الثالث (الأمم المتحدة) عام ٢٠٠٠م .
٢) إحصائية عام ٢٠٠١ الخاصة بمعدلات الأمية في العالم (اليونسكو) .
٣) مجلة العلوم والتكنولوجيا الصادرة في البحرين) معدلات النمو الاقتصادي لبلدان العالم) عام ٢٠٠٢م .

لقولها

يكتبها / حسين علوي الحشبي

● يحكى أن رجلاً من العرب بايع أن يشرب عبلة لبن ولا يتنحج ، فلما شرب بعضه كده الأمر ، فقال : كيش أملح ، فقيل له : ما هذا ؟ تنحجت . فقال : من تنحج فلا أفحج .

ساق هذه القصة ابن جني في الخصائص ٥٧ / ١ ، يستدل بها على أن الحرف في حال الوقف عليه أثبت منه في حال النطق به ساكناً في درج الكلام ، فإن آت حركته اخترمت الصوت البتة .

● الروع يفتح الراء الخوف ، ومنه قوله تعالى : (فلما ذهب عن إبراهيم الروع) هود ٢٤ .

● العيقة من أسماء ساحل البحر ، ومن أسمائه كذلك السيف والعراق والغدان . ينظر المخصص ١٦ / ٣ .

● ليل يقول الناس من ظلماته كأن لنا منه بيوتاً حصينة مسوحاً أعاليها وساجاً كسورها (مسوحاً وساجاً) نعتان لقوله (بيوتاً) ، وصح النعت بهما مع أن كلا منهما اسم ذات جامد لتأويلهما بالمشق ، فالأول يوول بال (سوداً) والثاني بـ (كثيفاً) . ينظر خزنة الألب ١٨ / ٥ .

● قل : الجمهور والجمهورية ولا تقبل الجمهور والجمهورية بالفتح ، لأنه المسموع المأثور عن العرب في كتب لغتهم على مثال عصفور وشحرور ، وإذا صيغ من الجمهور اسم صناعي فهو الجمهورية .